



ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: <https://eduj.uowasit.edu.iq>

Rese. Zainab Dayekh
Matar

Prof. Dr . jasim
Hussein sultan

Wasit University/
College of Education
for Human Sciences

Email:

Zainab8911111@gmail.com

Keywords:

nihilistic, appearance
of the city, The
contemporary, Iraqi
poetry



Article info

Article history:

Received 15.Febr.2019

Accepted 17.JAN.2019

Published 28.FEB.2024



The nihilistic appearance of the city in contemporary Iraqi poetry

A B S T R A C T

This study dealt with an important topic of contemporary Iraqi poetry, which was represented by the city's nihilistic appearance in Iraqi poetry, but it was not a contemporary topic entirely, but rather it has historical roots in ancient poetry, and it was referred to by literary sources, but the wars that followed the city And calamities that led to different visions of poets in contemporary poetry. Most of the poetry that included this topic was accompanied by a kind of despair, gloom, psychological imbalance, a dark outlook on life, and the reality in which there was no freedom and independence. in which their poems were filled, in addition to the foreign influence that was embodied in their poetic texts.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: <https://doi.org/10.31185/eduj.Vol54.Iss2.3864>

مظهر المدينة العدمي في الشعر العراقي المعاصر

الباحثة: زينب دايخ مطر أ.د. جاسم حسين سلطان الخالدي

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص:

تناولت هذه الدراسة موضوعاً مهماً من موضوعات الشعر العراقي المعاصر، الذي تمثل بمظهر المدينة العدمي في الشعر العراقي المعاصر، وجاء ذلك نتيجة الاحتكاك الحضاري مع الغرب؛ لم تكن المدينة العراقية بمعزل عما يجري في العالم، فما شاع في المدن الأوروبية من حروب ودمار كان له صدى واسع في المدن العربيّة والعراقيّة على وجه التحديد، فالعدميّة هي أعمق حدثاً عرفه الغرب الحديث على الإطلاق؛ لأنها ستطبع الثقافة الغربيّة في مختلف مظاهرها بطابعها؛ لأنها من جهة أخرى تُمثّل ضرورة تاريخيّة وسيكولوجية من حيث هي نتيجة منطقيّة لسيادة وهيمنة القيم المقدسة والمثل العليا للحضارة الغربيّة؛ فإنّ ما تعاقب على المدينة من حروب ونكبات أدت إلى اختلاف رؤية الشعراء إليها في الشعر المعاصر، فقد جاء أغلب الشعر الذي تضمّن هذا الموضوع مصحوباً بنوع من اليأس والكآبة وانعدام التوازن النفسي، والنظرة السوداويّة للحياة، والواقع الذي انعدمت فيه الحرية والاستقلال، فقد اعتزى الذات شعور بالضياع وفقدان القيمة الذاتية للإنسان وبالغربة الروحية التي ضجّت فيها أشعارهم، فضلاً عن التأثر الأجنبيّ الذي تجسّد في نصوصهم الشعريّة الكلمات المفتاحية: المظهر، العدمي، المدينة، الشعر العراقي المعاصر.

المقدمة

لم يكن موضوع المدينة موضوعاً مُعاصراً كلّ المُعاصرة، بل له جذور تاريخية في الشعر القديم (ينظر: أبو غالي، ١٩٩٥م: ٦)؛ إذ أشارت إلى ذلك أغلب المصادر الأدبية بـ "أنّ تأثير المكان في شعر الشعراء موجود منذ العصر الجاهلي مروراً بالعصور اللاحقة، ولكن بسبب أنّ المدينة هي المكان الآني، فمن الطبيعي أن يختلف المشغل الأدبي عما سبق، إلا أنّ المكان يبقى مثلما هو في التأثير، سواء أكان يمثل البادية، أم القرية، أم المدينة التي يكون حضورها المعاصر مختلفاً عند شاعر وآخر" (الخالدي، ٢٠١٥م: ٧٢)، وقد سار البحث وفق المنهج الوصفي الذي مكن الباحثة من قراءة النصوص الشعريّة محاولة في الكشف عن مكامن النزعة العدمية في المدينة.

- مفهوم العدميّة

العدميّة (Nihilism) واحدة من أبرز الفلسفات الحداثويّة التي تجلّت في الفكر الفلسفيّ المُعاصر، لما لها أبعاد عميقة في الفلسفة والأدب والنقد والثقافة والسياسة والاجتماع، فعن طريقها تجلّت أفكار سعت إلى إيجاد قيمةٍ جديدٍ للإنسان الغربيّ -الذي غلب على تفكيره ونظرته للوجود الإنكار التام للحياة- في تحولها إلى شكلها الفاعل الإيجابيّ التي دعا إليها (نيتشه) في كتابه "إرادة القوة" من تغيير وتجديد في القيم والمثل العليا السابقة (دولوز، ١٩٩٣م: ٢٥٢، ٢٥٣).

فإنّ العدمية حركة غربية الجذور أحدثت ظهورها -بعد الحرب العالمية الثانية-، تغييراً جذرياً في المجتمع وقيمه المتوارثة، فهي مفهوم عصي على التحديد كانت وما زالت، بدأت في طروحات الفلاسفة القدماء ما قبل سقراط حول مفهوم العدم والكيونة واستمرت عند المحدثين حتى استقرت في كتاباتهم أمثال نيتشه وسارتر. (ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٣، ٢٥٤).

- مظهر المدينة العدمي

وإنَّ تجلّي موضوع المدينة لدى الشاعر المعاصر إبَّانَ القرن العشرين جاء مصحوبًا بنوع من " اليأس والكآبة وانعدام الأمن والإحساس بعدم التوازن النفسي وغير ذلك من الأمراض النفسية العصرية " (جربو، ٢٠١٤م: ٣٤٠) التي خلفتها الحرب العالميّة الثانية آنذاك، وإنَّ " اغتيال حرية الإنسان، واستغلال لموارد الشعوب المغلوبة على أمرها... جعل شاعر القرن العشرين يتخذ موقفًا معاديًا من المدينة ورموزها، بلغ هذا الموقف ذروته لدى (ت. إس. إليوت) في قصيدتيه اللتين ذاع صيتهما (الأرض الخراب) و(الرجال الجوف) " (أبو غالي، ١٩٩٥م: ٦)؛ إذ تجلّت فيهما النزعة العدميّة السوداويّة للحياة في المدينة؛ فضلًا عن موقف بولدير العدمي من المدينة الذي ترجمته أغلب أشعاره؛ إذ إنَّها " ليست سوى عالم ميّت، مقرف إنَّها ذات وجه مزعج لا يبعث إلا على القلق والشعور باليأس، والإحساس بالغرابة والعزلة، ويدفع بالنفس إلى البحث الملح والمضني عن عالم المثالي تتخلص فيه من واقع هذه المدينة الكبرى التي تفيض رعبًا وقبحًا وعمقًا وتتردى في مهاوي الرذيلة ووحل الخطيئة " (خوري، ١٩٧٧م: ٢١٥).

- موقف الشعراء حول المدينة واختلاف الرؤية

يُلاحظ أنَّ مواقف الشعراء الغربيين حول المدينة لا تختلف كثيرًا عن مواقف شعراء العرب؛ إلا أنَّ اختلاف الموقف منها يشكل رؤية شعريّة خاصّة فيما تجره المدينة على الشاعر النازح من الريف إلى المدينة، فإنَّ تجلّي المدينة بوصفها موضوعًا شعريًّا ترك أبعاده في أعماق الشعراء (ينظر: الخالدي، ٢٠١٥م، ٧٤) ف " العربي لا يعيش شكلاً من الحياة خارج الحياة " (أبو غالي، ١٩٩٥م، ٩)، فضلًا عن أنَّ " حضور المدينة في الشعر المعاصر قد تحول إلى شرط حدائي من شروط تجديد الرؤى ومن ثم أصبحت مفهومًا من مفاهيم الشعر المتطورة والدالة على ما تغير في النظرية الشعريّة الحديثة... وبسبب ذلك قلما نجد شاعرًا عربيًّا أو غير عربيّ لم تحضر المدينة في شعره " (الخالدي، ٢٠١٥م، ٧٤).

وقد مثّلت المدينة حضورًا واسعًا في الشعر العراقيّ المعاصر؛ ولا سيّما بعد الحرب العالميّة الثانية، حتى عُدت فكرة معاصرة تجسّدت في أغلب نصوصهم الشعريّة، فضلًا عن المؤثّر الأجنبي الذي أشارت إليه المصادر التي عن طريقها تجلّى فعل تأثير الشعراء العراقيين بما عكسته قصيدة إليوت (الأرض الخراب) على الواقع من تمزق العلاقات الإنسانيّة وفقدان الإيمان الروحي لدى الإنسان العربيّ (ينظر: أبو غالي، ١٩٩٥م، ٦٤)، الذي هيمنت عليه رؤية سوداويّة تجاه الوجود.

وقد تجسّدت لكلّ شاعر رؤية شعريّة خاصّة في موقفه من المدينة فضلًا عمّا أمدته به عناصر ثقافته، ولعلّ الموقف الذاتي من المدينة شكّل أهمية بالغة في تصوير معاناة الشعراء وخببائهم في الواقع الذي اندمست فيه الحرية والاستقلال، فقد اعترى الذات الشعور بالضياع، وفقدان للقيمة الذاتية للإنسانية والغرابة الروحية (حبيب، ٢٠٠٤م، ١٨)، التي ضجّت فيها قصائدهم الشعريّة.

لذا فإنّ مرارة الألم والضياع الوجوديّ اللذين نلتسهما في قصائد الشعراء في تلك المدة-بعد الحرب العالميّة الثانية-، سواء عن طريق معجم ألفاظهم أو بالدلالة الإيحائية والرمزية، إنّما هو تعبير عن اضطراب الرؤى، وتمزق النفس والإحساس ببعثية الحياة في المدينة وهشاشتها، هو الذي رسم معالم الشعر الوجوديّ برؤية شعريّة خالصة (الأوسي، ٢٠٢٠م، ٢٤٧) كشفت عندهم عمق " الإحساس بالتغرّب عن المحيط، والشعور بالخسران، والحنين إلى النبع الأول الذي تمثله القرية "، وقد تجلّى ذلك لدى (بدر شاكر السياب) في قصيدته (جيكور والمدينة):

وتلتفتُ حولي دروبُ المدينة:
 حبلاً من الطين يمضغن قلبي
 ويعطين، عن جمرةٍ فيه طينةً،
 حبلاً من النار يجلدنُ غريّ الحقول الحزينة
 ويحرقن جيكور في قاع روعي
 ويزرعن فيها رماد الضغينة(السياب، ٢٠١٦م، ٧٥/٢).

شكّل عنوان القصيدة مفتاحاً بنائياً للدخول إلى النص فهو مفارقة تصويرية ضخمة طرفاها جيكور والمدينة(ينظر: محمد، موقع انترنيت)، في حين لخصت ذات الشاعر وجهة نظرها في السطرين الأول والثاني، فهما العتبة النصية الرئيسية التي بُني عليها النصّ بمجمله، فمنذ السطر "الأول يطالع الشاعر الوجه القاسي لهذه المدينة، متمثلاً في تلك الدروب المظلمة التي تحاصره وتلتفت حوله، فتشعره بالحصار والوحدة والسجن" (وفاق، موقع انترنيت) الذي يعانیه الشاعر داخل المدينة التي تبدو صورة غاية في المأساة والجمود؛ وإنّ التقاف الحبل مَثَلُ الدلالة على الضياع، وعدم القدرة على التعاطي مع واقع المدينة؛ لأنه لم يكن التقاف محبباً بل لمحبب بل التقاف معادٍ، وهذا ما كشفت عنه الأسطر اللاحقة، ولتكتمل الصورة في السطر الثاني والخامس الذي حوّل تلك الدروب إلى حبال يمضغن قلب الشاعر ويحرقن جيكور في روجه دلالة على شدة الألم والتحسر على مرابع صباه في (يُحرقن جيكور في قاع روعي)، وإنّ شعور الذات وتجليها بهذه الصورة المأساوية، إنّما يكشف عن حالة من الموت المعنوي وعدم الجدوى من حياة المدينة التي " لم يستطع السياب أن يقيم جسراً من التفاهم-أو المودة- بينه وبين المدينة التي قضى فيها أكثر عمره " (عباس، ١٩٩٢م، ٩٦)، فقد شكّل مجمل النصّ فكرة العدمية التي حاول الشاعر تقديمها إلى المتلقي.

بينما شكّلت المدينة لدى (عبد الوهاب البياتي) انكساراً نفسياً لم يستطع مغادرته، فكان هنالك نوع من السوداوية بينه وبينها، وأشار إلى ذلك في قصيدته (المدينة) التي عرّ (ينظر: الخالدي، ٢٠١٥م، ٧٣) فيها عن " رؤية ذاتية عميقة عن شدة ما يعتري الإنسان في عالم المدينة، ... الذي سلبه الإحساس الروحيّ بالحياة وجعله يشعر في أعماقه بالضياع والهوان " (حبيب، ٢٠٠٤م، ١٩) والغربة:

وعندما تعرّت المدينة
 رأيت في عيونها الحزينة
 مبادئ الساسة واللصوص والبيادق
 رأيت في عيونها المشانق
 تُنصب والسجون والمحارق
 والحزن والضياع والدخان
 رأيت في عيونها الإنسان
 يُلصق مثل طابع البريد
 في أيّما شيءٍ
 رأيت الدّم والجريمة
 وعلبُ الكبريت والقديد
 رأيت في عيونها الطفولة اليتيمة
 ضائعة تبحث في المزابل
 عن عظمةٍ ... عن قمر يموت(البياتي، ٢٠٠٨م، ١٠٧/٢).

في هذا النصّ كانت المدينة واحدة من الأدوات التي وظّفها الشاعر للكشف عن ظلم الطغاة حتى بدت وكأنّها مستترّة عليهم، لكنها حين كشفت عن سئرها اكتشف حجم الظلم والاضطهاد، الذي عاناه الإنسان المُعدم في تلك المدينة؛ ولذلك جعلها الشاعر مظهرًا من مظاهر النزعة العدمية؛ وذلك عن طريق مشهد تصويريّ جسّده في قوله: (رأيت في عيونها الحزينة، مبادل، ومشانق، والدم، والجريمة، والضياع، ويلصق، والموت) فهي دلالات ذات نزعة عدمية، وبوصفها إشارات دالّة على بشاعة تلك السلطة في تعاملها مع الإنسان في واقع المدينة، فالشاعر " أسقط رؤيته السياسية؛ فهو لا يفصل بينها وبين فعل السياسة، ومهاترات السياسيين، لذلك فهو يشكو حال الإنسان الذي فقد قيمته؛ إذ تحول إلى طابع بريديّ يلصق لشيء أو لا شيء، الأمر سيّان " (الخالدي، ٢٠١٥م، ٧٤)، وما يزيد واقع المدينة البؤس والهدر في قيمة الوجود الإنسانيّ الذي وُلد شعورًا نفسيًا لدى الشاعر أقرب ما يكون إلى حالة من " الاكتئاب الوجوديّ الاستجابيّ الذي يشكّل ردّ الفعل المعتاد على الخسارة والهزيمة " (حجازي، ٢٠٠٥م، ٢٨٦).

ويُبين (رشدي العامل) بلغة رمزيّة إيحائيّة معاناته داخل عوالم المدينة المتعبة من جراء تعاقب الحروب عليها برؤيته الذاتية العميقة؛ وهذا ما تجسّد في قصيدته (مدينة خلف مدينة):

وعندما مدينةٌ متعبةٌ

تريدُ أن تستريحَ

تريدُ أن تدفنَ في الليلِ ضحاياها

تريدُ أن تلتئم، قبل الدفن، موتها

تهرب من أعيادها الزرقاء، عيناها

من أجل عيد المسيح

من أجل جرح يصيح

من أجل حقلٍ عربدت فيه ريح

هبي لنا يا غيمةً مجدبة

شيئًا من الماءِ

خيظا من الماءِ

يبيل من أعراقنا المتعبة

ينزل من حقولنا المجدبة (العامل، ١٩٧١م، ٨٠-٨١).

أفاد الشاعر في هذا النصّ من إسباغه صفات الأنسنة على المدينة ليجعلها كأنّها إنسانٌ يبحث عن الراحة والهدوء، بعد أن أعياه التعب من شدّة ما مرّ به من حوادث وخيبات أمل تشي بانعدام الحياة بدلالة (تريدُ أن تستريح، وتدفن في الليل ضحاياها)، فقد خيم البؤس على شوارعها فهي في هرب دائم من أعيادها وكلّ مظاهر الفرح والبهجة من أجل ما حلّ بسكانها من ويلات " ممّا يدلّ على شدّة الخواء والعدمية، وذلك منتهى السلب المعنويّ للإنسان في عالم المدينة " (حبيب، ٢٠٠٤م، ٢٢)، ويكاد الشاعر أن يجعل المتلقي معه حاضرًا بكلّ حواسه ليكون شاهدًا على ما يحدث؛ إذ ملأت رائحة الموت ومشاهده كلّ تفاصيل المكان وتحولت الحياة إلى موت فلا أمل يرجى فيها؛ إذ لا نجد أي أمل للحياة ولا صورة، وانعكس ذلك الواقع على ذات الشاعر فكان موقفه سلبيًا تجاه المدينة، وهذه الرؤية تكاد تقترب من رؤية السياب للمدينة،

بدلالة المفردات (متعبة، وتدفن، وضحايا، موتها، وتهرب، وجرح)، التي تُعمِّق المعنى وتزيد من فاعلية النص لتؤثر بالمتلقي.

ويخيم الموت المعنوي والمادي على المدينة لدى (شاذل طاقة)، وذلك واضح في قصيدته (مدينة العناكب):

ومدينتي..

حُمّ الذبابُ بها... وخاطتها العناكب

والموتُ قاء على شوارعها رؤاه..

وعلى التلال.. وفي الخرائب

أسرابُ غربان تحوم..

وعلى ارتعاشات الشفاه..

ألف ابتسامه..

ماتت.. ولم تذق الحياة..

أنى التفت.. فثمَّ بومٌ أو غراب

في البيت.. في المقهى.. وفي السوق

القديمة

...

نسج الغبار على مصارع كل باب

وعلى الوجوه.. وفي الجباه..(طاقة، ١٩٧٧م، ٢٦٧-٢٦٨).

وظَّف الشاعر بعض الرموز الدلالية على الشؤم والخراب، فالبوم والغراب من الطيور التي تحمل فكرة سيئة في عقيدة العربي قديماً (ينظر: الهلالي، ٢٠١١م، ٤٩-٥٠)، وقد جاء بها الشاعر هنا ليعطي لصورته أبعاداً رمزية، فضلاً عن أبعادها الواقعية وموقفه الصريح منها هذا من جانب، ومن جانب آخر استعان الشاعر بالمجاز المرسل في السطرين الأخيرين ليبيّن مدى الحزن وعدم الشعور بالحياة وهذا قمة العدمية؛ إذ نَمَّ إحساس بالغرابة والكآبة مهيمين على النص من خلال استعمال الشاعر لمفردات (الذباب، العناكب، الموت، الخرائب، غربان) الدالة على كمية الضياع وانعدام الحياة في المدينة بوصفه مسلوب الإرادة، فكأنَّ المدينة فقدت معالمها ببناء العناكب خيوطها على جدرانها، فضلاً عن التراب الذي غطَّى أبوابها ووجوه ساكنيها بدلالة (خم الذبابُ بها... وخاطتها العناكبُ، نسج الغبار على مصارع كل باب)، وممَّا يُلحظ أيضاً أنَّ استسلام ساكني هذه المدينة " للعدمية أو بالأحرى ذلك القدر الحزين الذي يجعل الإنسان مُجرِّداً من ملكية تخضع لهيمنة قوى مسيطرة " (الحدادي، ٢٠١١م، ١٠٨) على وجوده تصيبه بالهوان وخيبة الأمل؛ وذلك تجلَّى بتجسّد الشاعر للموت بمشهد مأساوي (والموتُ قاء على شوارعها رؤاه)، الذي خلَّف شعوراً بالضياع وقسوة الحياة على الإنسان المعاصر.

ويصور (علي الحلبي) أجواء الموت والعدم حين يعمّ الاستبداد والظلم في المدينة، وقد أشار إلى ذلك في قصيدته (أنفاس المدينة):

الليل. والصمت. والأشباح جائمة

في حانة المحل، والندمان أموات

وحولنا من حنايا السور اعمدة

موهونة النور، عصتها الكآبات

وللرؤى السود إغماض، وهممة

وللمصاييح رعشات، وغصات

والذكريات بقايا من دم عفن

من نتنه الفج عافتها الضلالات

وهيكل الفن.. أصنام محنطة

تستلهم الآل، والجلاد يقات

من قيحها البكر... أنفاسا ملوثة

حتى ارتوت من صديد الجرح حياث

...

مدينتي ملء أفق الموت... مقبرة

مهجورة، والمسوخ السود أرماس (الحلي، ١٩٨٧م، ١/١٧٥ - ١٧٦).

يحاول الشاعر في هذا النص تصوير حالة الضياع والصمت الذي تعيشه المدينة، التي تقضي بالعدمية وانهيار حركية الزمن، وسوداوية الحياة التي يعانها الناس بدلالة (الليل. والصمت. والأشباح جائمة، في حانة المحل والندمان أموات)، بل حتى إن أنفاس هذه المدينة أصبحت ملوثة (من قيحها البكر.. أنفاسا ملوثة)، فرؤية الشاعر الذاتية شغرت لتشمل عامة البشر فيها، وإن كانت عدمية فإنها انبثقت عن طريق لحظة الألم الآني، والوعي بمعاناة الشاعر ليس بإزاء نفسها فحسب، بل بإزاء متغيرات العالم وهي تشي بالزمن الرديء المشحون بالويلات مراراً؛ إذ تجلّت صورة الخوف والعدمية وعدم الإحساس بالحياة، فكل شيء يدل على الموت، حتّى الرموز التي تدل على الحياة من وجهة نظر الشاعر مثل (الحانة، والندمان، والنور الواهن، والكآبة)، ولم يكتف عند هذا الحد بل عمد إلى استعمال الثنائيات الضدية ليزيد من عمق الشعور بالأسى والعدمية، وكذلك يُشير البيت الأخير إلى عمق إحساس الشاعر بالحزن والدمار والموت الذي أحاط بمدينته، حتّى تجلّت بشكل مقبرة مهجورة تحيطها الأشباح، فهي " مشحّص رمزيّ تشي بالنهاية والعدم... قد مرّت عليها عصور الانهيار والدمار فأحالتها الغزاة ركلاً وحرماناً وقهراً إلى واقع ميّت " (الأوسي، ٢٠١٢م، ١٤١) بدلالة قوله: (مدينتي ملء أفق الموت.. مقبرة، مهجورة، والمسوخ السود أرماس).

ولا يختلف ياسين طه حافظ، عمّن سبقه من شعراء الرواد أو ما بعدهم في رؤيته الذاتية للمدينة، سوى اختلاف بسيط ألا وهو إحساسه بعدم تحقيق ما يرنو إليه من حياة جديدة تكشفها له المدينة، فوجد نفسه تغوص في ضياعها

(ينظر: حبيب، ٢٠٠٤م، ٢٥)،

في قصيدته الموسومة بـ(الحقيقة والكلمات):
 في شوارع هذه المدينة، في الطرق الحلزونية السود،
 في أنابيبها،
 أحسُّ بأنِّي أمتصُّ
 وأسمع خشخشة السعف اليابس واليوم
 في السقف، وعزف النقود على المخ،
 وتربيت من يحمل الحقد فوق الكتف

...

ليس لي أي شيء
 إنما لي هذه المدينة، التي لي أنابيبها الحلزونية
 لا من طريق سواها(حافظ، ١٩٧٦م، ١٠٣-١٠٨).

المدينة في هذا النص عبارة عن قناع رمز به الشاعر الى الحياة بصورة عامة؛ إذ جعل الشاعر من المدينة معادلاً رمزياً للحياة بمآسيها، فصارت المدينة (الحياة) عبارة عن عدم من وجهة نظر الشاعر، بشوارعها وطرقها التي تبدو حلزونية سوداء دلالة على حالة الضياع وفقدان الأمل الذي رافقه منذ حضوره فيها (في شوارع هذه المدينة، في الطرق الحلزونية السود)، ومما زاد في تأزم ذات الشاعر مجيء لفظة (أمتص) التي تشي بالسلب المستمر لإرادته في واقع عدمي يسوده الحقد والظلام، وبذلك أفصح ذات الشاعر عما آلت إليه من أوجاع وحزن لتعكس في النهاية عن صورة شعرية مؤثرة عبرت بصدق المشاعر عن معاناة الفرد العراقي وهو يواجه مصيره المعدم، وكأن لا مكان يلجأ إليه سوى هذه المدينة التي تملؤها الرتابة المستديمة بدلالة (إنما لي هذه المدينة، التي لي أنابيبها الحلزونية، لا من طريق سواها)، فنبوءته التشاؤمية لمسيرة حياته كثيراً ما تفضي به إلى الاستسلام للواقع الذي يحيط به(ينظر: الأوسي، ٢٠١٢م، ١٤٧).

ويكشف معد الجبوري عن شدة الرتابة القاتلة للمكان والزمان والأشياء والملل الذي يصيب المدينة، فقد سئم الحياة فيها(ينظر: عريعر، ٢٠١٤م، ١٩٨) مُبَيِّنًا ذلك في قصيدة (شيء عن المدينة):

ومدينتنا،

كل صباح، تبدأ حفلتها

تتعري،

تدعونا للحفل الدموي

...

فتفتش سبل الأجساد،

وتضغظه بين شقوق،

الأرصفة، الأقبية،

الشقق، المنعطفات

حتى تغدو كرة منفوخة

باللحم البشري

الكرة المنفوخة، حين تضجُّ

تلثم البشر الأرقام(الجبوري، ١٩٧٤م، ٢٠-٢١).

ويبدأ الشاعر نصّه بلغة سردية مؤثرة لما يعتري المدينة (الواقع المعيش) كلّ صباح من تكرار في مشاهد الموت والظلم وتجرع مرارة العيش فيها، وإنّ استعماله للفظّة (تتعري) هنا نجدها في خط مواز لما عند البياتي، ممّا يعني تأصيل هذه الرؤية عند الشعراء في امتدادها منذ جيل الرواد (ينظر: حبيب، ٢٠٠٤م، ٣٧)؛ إذ أضحي كلّ شيء كئيّباً، وما يزيده قتامة هو تلك المشاهد التي لم يعتدها الشاعر، فكّل كلمة تعني الموت (ينظر: عريعر، ٢٠١٤م، ٣٧٣-٣٧٥)، وبذلك يكون الموت تجسيداً لموقفه من الواقع المتهرئ الذي تعيشه المدينة بسكانها في دعوتها المستمرة للحفل الدمويّ أي القتل (كلّ صباح، تبدأ حفلاتها، تدعونا للحفل الدموي)، ويلحظ مجيء لفظة (الحفل) تتخذ صورة مغايرة تماماً عكس ما هو معروف عن استعمالها المعتاد بالفرح والبهجة، فهنا تقترن بالقتل والتعذيب اليوميّ للإنسان، فقد أصبحت المدينة في هذه الأسطر تمثل الواقع المأساويّ بمظاهره كلّها.

الخاتمة

بناءً على ما تقدم نجد أنّ المدينة بوصفها مظهرًا من مظاهر النزعة العدمية في الشعر العراقيّ المعاصر، قد تجلّت بصور يملؤها الحزن والكآبة والضياع، فضلاً عن أنّها كانت معادلاً رمزياً لصور الواقع المعيش، وكانت واقعاً مفروضاً تعامل معه الشاعر تعاملًا خاطئاً، وإنّ اختلاف تمظهرات المدينة في الشعر العدمي لا يعني اختلاف ثقافة الشعراء بل يعني اختلاف الظروف التي يعيشونها بصورة فردية، فضلاً عن التأثير بالأداب الغربية التي ترك أبعادها في جلّ أشعارهم، بعد أنّ صُدِّمُوا كثيراً بواقعها -أي المدينة- المرير من خلال ما عكسته من مظاهر عدمية من قتل معنويّ وماديّ للإنسان، واستلاب لحيته في التضيق عليه، وعدم الجدوى من العيش فيها بعد أن أفقدته قيمته الإنسانية، التي نادى بها نيتشه وسارتر وأمثالهم من الفلاسفة الغربيين في كتاباتهم.

المصادر والمراجع:**- الدواوين:**

- الأعمال الشعرية الكاملة، عبد الوهاب البياتي، دار العودة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.
- ديوان للصورة لون آخر، معد الجبوري، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، ١٩٧٤م.
- ديوان البرج، ياسين طه حافظ، منشورات وزارة الاعلام العراقية، ١٩٧٦م.
- ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة، بيروت، لبنان، ٢٠١٦م.
- ديوان للكلمات... أبواب وأشعة، رشدي العامل، مطبعة الاديب البغدادية، بغداد، العراق، ١٩٧١م.
- المجموعة الشعرية الكاملة، علي الحلبي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٨٧م.
- المجموعة الشعرية الكاملة، شاذل طاقة، دار الحرية لطباعة، بغداد، العراق، ١٩٧٧م.

- المصادر والمراجع

- اتجاهات الشعر العربي المعاصر، د. احسان عباس، دار الشروق، عمان، الأردن، ط٢، ١٩٩٢م.
- الإنسان المهودر، مصطفى حجازي، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٥م.
- ثنائية المدينة والريف في شعر السياب، خيرة جزيو، مجلة جامعة بابل/ العلوم الإنسانية، المجلد ٢٢، العدد ٢، ٢٠١٤م.
- الرؤيا والتشكيل في الشعر العربي المعاصر، د. سلام كاظم الأوسي، دار نيبور للطباعة والنشر، ديوانية، العراق، ط١، ٢٠٢٠م.
- الرؤى الفلسفية في الشعر العراقي الحر، د. بشير عريعر، دار المدينة الفاضلة للطباعة والنشر، ط١، بغداد، العراق، ٢٠١٤م.
- الزمن في الشعر العراقي المعاصر-مرحلة الرواد-، د. سلام كاظم الأوسي، دار المدينة الفاضلة، ط١، ٢٠١٢م.
- الغراب في الشعر الجاهلي الرؤية والتشكيل، احمد عيسى هلال الهلالي، منشورات النادي الأدبي الثقافي، ٢٠١١م.
- العالم العربي في ضيافة العدمية، د. عزيز الحدادي، دار التتوير للطباعة ونشر، بيروت، لبنان، ٢٠١١م.
- المدينة الحلم في شعر السياب، أ. د جاسم حسين سلطان الخالدي، مجلة سر من رأى، المجلد ١١، العدد ٤١، السنة الحادية عشر-حزيران- ٢٠١٥م.
- المدينة في الشعر العربي المعاصر، د. مختار علي أبو غالي، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ١٩٩٥م.
- المدينة في شعر زماننا: الإنسان والمدينة في العالم المعاصر، تعريب كمال خوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٧م.
- المدينة في الشعر العراقي الحديث ١٩٥٨-١٩٨٠، عبد الله حبيب، اطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، العراق، ٢٠٠٤م.
- نيتشه والفلسفة، جيل دولوز، تر: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

- شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)

- المدينة الزائفة كما صورتها الأرض السياب، عبد الحق وفاق، موقع انترنت:

. <https://tarbawiyat20.blogspot.com>

- قراءة في قصيدة جيكور وأشجار المدينة للسياب، خالد حسين طالب محمد، موقع انترنت:

. <http://www.alfaseeh.com>